



كان يحملق في وجهها ، وخديها ، نديها بشراهة عجيبة . وكانت إذ تدرك منه ذلك تحملق فيه ، فلا يرد عينه عنها ، فتضطرب ، ويصمد الدم وفيراً إلى وجنتيها ، فترداد جلاً وقتنة ، فيزداد هو شوقاً ورغبة ...

ولا بدريان : لا هو ، ولا هي ، هل كان واحد منهما يحرص أن يكون جار صاحبه في مقعد المركبة كل يوم ؟ أم هي مصادفة ساقها القدر وقت أن يلتقيا هكذا أسبوعاً كاملاً ؟ ... كان لا تغربمه من أن تجرى بينهما بضعة كلمات خفاف قصار في ابتسامه أخف وأقصر ، لظهن كن نعمة شكر لقاء أن آثرها وأجلسها في مكانه في يوم كانت المرة فيه ملأى بركابها ...

وفي اليوم التالي تصالفاً بدأ بيد ، ثم تكلم ، ثم تصادقا ... ثم كانت له برغم ذلك شاعلاً يملأ خلايا غه طول يومه وسواد لبلته ، إلى أن يلتقاها ... وإنه ليرتب مشرق وجهها على فؤاده بشوق وحنين ، وإنه ليفكر في نصف الساعة التي ينم فيها بها ، حتى إذا بلغتا غايتيهما ، وأن لها أن يفترقا ، شمر بفراغ هائل يداخل نفسه ؛ وتماظفته تلك القسمة الحرام التي قسمت له من زمان حبيته جزءاً واحداً من ثمانية وأربعين جزءاً ...

يجري العمل في كل مضار من مضامير العلم . وأعتقد اعتقاداً راسخاً أن العلم السائر دوماً إلى الأمام سوف يبرهن عليها بقوانينه وحسابه وملاحظاته وتجاربه إن لم يكف قانون نيوتن الثالث للبرهنة عليها بصورة حاسمة

كما لا شك في أن ما نجده من تناقض واختلاف — حسب ما ننتقده — سواء في مجرى الأحداث الطبيعية أو حتى شؤون الحياة المتنوعة أو طباع الناس وأخلاقهم ، لا نجد له تليلاً منطقياً غير الرجوع إلى هذا القانون . ولو نجحنا في بعض الأحيان في إيجاد تليل إلا أن المصدر الأعلى الشامل لتليل جميع ما نرى من متناقضات وأضداد في مجرى الطبيعة والحياة اليومية وسير التاريخ العام هو هذا القانون الخالد ما خلا صاحبه

برهم زكي أباظة

( نابلس )

## الأب ...

لجى رى صرباسانه

بقلم الأستاذ مراد الكرداني



تملتها لحظةً سنحت لعينيه . فقد كانت ذات جمال هادئ صارخ ، يتسلل إلى الحواس في دهاه ولفظ ، حتى إذا تمكن واستوى ، فعل فمله ، ودار فيها على طبيعته حينئذ ورغبة ونداء . ثم كان رؤماً عليهما أن يتراهما كل صباح ، لأن عملهما كان يقتضيهما أن يهبطا باريس كل يوم مع الهابطين .

لم يكن يرفها ، وما كان رآها ، إنما كان يجد نفسه في كل صباح جالساً تجاه فتاة جميلة ، سرعان ما أحبا ، وسرعان ما ألفت أنوثتها في ذهنه أنها امرأة ودیعة لينة ، ضميعة ، فشرع يفزوها

لسافة بعيدة حيث تتمكن من رؤيته كله . ولهذا الحقيقة ما يؤيدها تاريخياً وهو وجود حيوان يسمى بالدينصور الذي زعم المؤرخون أنه كان هائل الجسم والبطش إلا أنه انقرض بفعل الثلج في المصور الجليدية . وكذلك الحيوان الذي يقال بوجوده أيضاً ويسمى بالتراخودن من فصيلة الدينصور ، ويقدرون قوته وسرعته بأنه يقطع مسافة سبعة أميال بخطوة واحدة من خطاه . وفي البحار ما يقارب هذه الحيوانات كالحيتان ، فنها ما يقابل — تقريباً — في الكبر الأمييا في الصغر

ولا شك أن الحيوان الذي يتم هذا التقابل قد وجد ورتج يوماً ما على ظهر الأرض وسوف يكشف عنه العلم والتاريخ يوماً ما .

هذه حقائق يمكن أن تلتسها بالفكر والنظر البعيد . كما أنه من الممكن بهذا القانون التنبؤ بنظريات واقعية تجري مبادئها

أكره مثل هذا الطيش ، ولى أم مريضة ومتمبة كانت أولى  
بوقتي هذا ، ولم يكن يليق أن أتركها وأهلو ولكن ... ولكن  
أرجو ألا تسيء بي الظن

ولم يكن لديه جواب لهذا الخلط الذي لم يفهمه سوى أن مال  
عليها فقبلها قبلة أخطأت خدها وأصاب أذنها . ففرت منه  
كظبي مذعور وتناضبت عليه . ولم تظل ... بل أقبلت عليه  
تذكره بوعده لتمهد أن يمودا - كما كانا - مرحلين لا عيين

وكان الهواء قد رق وسفا . وسرى عطرى الروحة والندوة  
يحمل في طوايا هبته شذأ قويا يدبر الرأس حين يدور فيها  
عند ما بدت لها من بمد حديقة لفاء يحبو تحتها ماء النهر، وتذقب  
ذراها أشمة الشمس الغاربة ، كانت تبدو من بمد كسرادق  
مظلم أو ككهف عظيم . ولما قاربها أخذت هي تحديق فيها بين  
بارقة مفتوحة ، وقالت في صوت خافت كأنه يأتي من أعرق أعماقها  
— ما أجملها ... ما أجملها !

ولما اقتحها وسارا فيها بلقا قبا خباء بين دوحتين فارعتين  
لا تبلغه العين ، ولا يبلغه الضوء ، إلا قطعاً نثاراً كنفوش  
الثوب، وملأت رأسهما فيه ريح عطرة مثيرة قوية ! فجلسا حاليين  
تأهين ... ثم تقاربا في بقاء وسكون ، ثم تضاما ، ثم عصفت بهما  
نار الرغبة فلم تملك إلا أن تحسس فه يشفتها . فجعل يتمصرهما  
بجنون ، ويضمهما إلى صدره بشوق وقوة وعنف ، وقد غابا ونسيا  
نفسهما ... !

\*\*\*

ولما أفافت لم تكن تريد أن تصدق ... ثم أخذت تصيح  
وتصرخ ... ثم هدأت لتبكي ... ثم لما فرغت لم ترد أن تسمع  
لكلماته وهو يفرغها في أذنها ليخفف عنها ما بها من جزع  
وأسى ، بل جملة تهتف في صوت خافت ضئيف :  
— رب ماذا فعلت ... ماذا فعلت !

وساوره الخوف والفرح مما رأى من حمرة خديها وعمق عينيها  
وجمل يرنم وهو يرجوها أن تبني ليتفاهما ، وليدبرا الأمر على

ولما توثق ما بينهما اشتعى أن يكون وإياها رجلاً مع امرأة ؛  
ولمها اشتهد مثلما اشتعى لأنها قالت له في صباح يوم سبت من  
أيام الربيع ، وهما يتواعدان أن يلتقيا غدأ في مطعم فاخر :  
— قبل أن نذهب أحب أن أقول لك كلمة ، وأماننا عشرون  
دقيقة نستطيع أن نقول فيها كلمات ...

وتناقل هو عما أحسه من اضطراب جسمها واهتزاز ذراعها  
في ذراعه وهي تلتقي إليه قولها ، قالت في صوت خافت :  
— أحب أن تعلم أنك ستطوى نهارك مع فتاة شريفة  
لا تحب أن تذهب مع رجل حتى يتمهد باحترامها ...  
وتوهج خدأها وحررت أنفاسها وتمتف اضطرابها ، فلم تمد  
تملك أمر نفسها فسكتت ، وسكت هو لا يدري ماذا يقول  
فقد كان في حيايه أنه سيمتع نفسه بكل ما يمكن أن يفعله رجل  
يجب فتاة . وإذ لم يجزر جواباً تفتت هي تقول :  
— إننى لن أذهب معك حتى يتمهد باحترامى

\*\*\*

ولما برحا المطعم الموعود سارا ممأ على ضفة للنهر يمتنان  
أعينهما بالماء الحالم في هذأ الأصيل وبالجو المسجج الدافئ .  
وكانت لمة الضوء تنكسر على صفحة الماء الحالم ، والأشماك  
تتواذب وتتلاعب ثم تنفمر في الماء . وأشمة الشمس تسيل فتصبغ  
الماء والحشائش والأقنق بلون رهيب ... كان كل ذلك يزيد من  
جمال للنهر ويكسيه روعة وجلالاً

وتفاعلا في روعة هذا الجمال الضافي فراحا يلبيان ويثبان .  
وراحت هي تشبك في ذراعه ثم تتركه لتدفعه من ظهره . ثم تجرى  
منه ضاحكة ثم تؤامته لتنتحنى فتجتمع له الزهر النامى على حافة  
النهر وتقدمه له أو تلقيه في الماء . وظلا هكذا - كطفلين غيريين -  
حتى جرت دماؤهما . ثم سارا هادئين لحظة لأنها بدا لها أن تقول له:

— ماذا تظن في وقد جئت معك منفردة !

— إن هذا أمر عادى مألوف

— لا . ليس عادياً ولا مألوفاً ، ولكنى مع ذلك لا أظن أننى

قانون الواقع ولكنها تركته دون كلمة أو وداع ...

\*\*\*

ولما لتبها في اليوم التالي ألقاها ساهمة شاحبة ظاهرة  
الأسى ، كأنها خالصة من أعقاب مرض طويل أضناها وذوّب  
قواها . قالت له حين تصابحها في حس :

— أريد أن أحدث إليك قليلاً ...

ولما انفردا قالت له في ألم وجد :

— إنه ليحس بنا أن نفرق ، فإن من الخير ألا نلتق  
بعد ذلك ، وبعد الذي كان لا أحب أن أراك لأنني كنت ضعيفة  
ومجنونة ، فليس هناك ما يبرر أن أعود لهذا الجنون وذلك الضعف  
مرة أخرى !

فجعل يتوسل إليها أن تلحق به وهو يؤكد لها أنه سيصلح  
ما أفسده . وأنه سيتزوجها إن شاءت ومتى شاءت ولكن عبثاً  
ما حاول فقد رفضت أن تسمع له وتركته ومضت

ولم يمد يراها . ومر أسبوع وأسبوع ، ولم يكن يعرف  
ما واماها ، ولعله أيس منها أو لم يقطع في أمرها بأمر ، لأنه ذهب  
مرة يفتح الباب لطارق فوجدها هي . وأتلى صدره أن شعر بها  
فيه ، تملأه وتهدهده ، ورأى ذراعيه قد التفتتا عليها ، وجملتا  
تضغطانها في رفق وشوق ...

وعاشا ممّا ثلاثة شهور شعر بمدّها باللئل منها ، فتهابط  
حبه لها وشغفه بها ، وتقصت رعايته إياها وعنايته بها ... ثم  
كجبن وتمافل حين ذكرت له أن جينتا يتوانب في أحشائها  
فكأنما كان هذا النبا عصاً ألميته ، لأنه قرّ من وجهها سرعاً  
لا يلوى . واختفى ... لا حذرهما ولا أخبرها إلى أين ... ولا هي  
ارتضت لنفسها أن تبحث عنه

لقد طاوعت كبرياءها فلم ترد أن تفعل ، ولم تجد في وسع  
عينها سوى أمها ... فتهاوت في صدرها حزينة باكية تشكو لها  
بأ ، وترجو عندها السر والصفح والعلوى ...

\*\*\*

وفي الجانب الآخر عاش الخاطب المسكين عيشة مضطربة

قلقة سمجة ، لا معنى لها ولا غناء فيها ... عاش وحيداً منزلاً ،  
لأن عليه أن يمشي ... كانت الدنيا في عينيه مظلمة قاعة سخيقة  
لا خير فيها . ولو لم يكن لديه إلا عمله يرى فيه بضمة وجوه مات  
كدأ وملاً ... فتخامد شبابه وانطلقاً نور حياته في حضيض  
خطيئته . وغدا على الدنيا شبحاً يود لو ينتهي

وكان يقسو عليه أله أحياناً فيضيق بوحده فيخرج في آصال  
أيام الأحد أيسير ثقيلًا متباطئًا ، وما هي إلا خطى معدودة حتى  
يجلس ملولاً ضيق الصدر ، ليرى الأسر السميدة مقبلة هائلة  
بأطرافها التي تجرى حولها بوجوه ضاحكة مستبشرة . وكان هذا  
المرأى في ذاته يزيد أله وحزنه ، ويسلمه إلى شعور عنيف يستبد به  
فيشمر أن قلبه ينسحق تحت معول ضخم ، فلا يملك لنفسه إلا أن  
يطرق ويصمت

وفي ذات صباح وكان يسير شريداً مضيقاً ، لمح امرأة  
تهدى بين طفلين بلبان حولها ، أما أحدهما فطفل لم يجاوز الرابعة ،  
وأما الثاني فغلام تشرف على العاشرة

امتز حين رآها وداخله نحوها شعور ما ، ولما لم يكن مخطئاً  
جد ولم يستطع حراكاً ، فقد فقد هيمته على نفسه ، ولم يمد  
إلا عيناً تدور وراءها وتتابع حركاتها . وازداد يقينه حين شعر  
بمخين عنيف يثور في صدره نحو أكبر الطفلين عند ما التفت مرة  
فوضعت ملامحه ...

في تلك الليلة لم يم ، فقد سهدّه أمل أشرق ثم خبا . فبات  
فريسة تفكير مضمّن طويل : ترى هل هذا ابنه ... وهل هي  
هي ... ؟ وإذا كان فإذا أستطيع أن أفعل ... ؟

وزاد بلاؤه أن طمس على ذهنه فلم يدر ماذا يستطيع  
أن يفعل ... ولكنه عزم أن يعرف أنها تزوجت رجلاً من  
جبرتها وكان شهماً فاشلاً غفر لها واعترف بابنها وعنى بهما ...  
وكان إشراق وسه ابنه في سماء حياته المظلمة ألكاً جديداً  
فوق آلامه ، إذ أشمره ذل الوحدة وعذاب الحرمان ، فاضطرب  
اضطراباً شديداً ، وامتلكه اليأس والأمل ، وأصبح لا يرجو  
إلا أن يضم ابنه إلى صدره ويقبله ليشبع منه شوق السنين ، وليطفي

إلى عيني ابته وهما تطالمانه وتنظران إليه  
وقام الرجل ( صاحب البيت ) فدار على نفسه وأبجه صوب  
النافذة ، حين واثى الولد أباه ، وحين فتح له هذا ذراعيه فاحتواه  
فيهما ، وحين أخذ يقبله بجنون في شعره وعينيه وخديه ووجهه  
وذقته وكل وجهه ، وحين أزعج الطفل من هذه القبلات العنيفة  
وأراد أن يتحاشاها ويبسدها عنه ، وهو يدبر رأسه إلى كل ناحية  
ليتخلص منها فلم يستطع ، لأن الدراعين اللتين أحاطتا به قد تصلبتا  
عليه ... ..

... ثم تراخيا عنه ، لأن رقة قلبه شاعت في كل جسمه ،  
فَرَجَمَهُ وَزَكَّهُ ، ليمسح دموعاً انسابت من عينيهِ ، ونهض  
سارخاً بقول :  
— وداعاً ...

وأسرع فنزل الدراج قافزاً كالهارب ، وحين احتواه الطريق  
انتمر في الظلام كاللص . مراد الكرداني

لوعة الحرمان التي شبت في نفسه فنظت آلامه جميعها  
وقام في ذهنه أن يمرض طريقها ، فأسرع نحوها فأخذها  
من كتفها ؛ فلما التفتت إليه صرختُ صرخة رعب مكتومة ،  
وحسنتُ على ولديها فطوت قتهما وأسرعت تجري بهما  
ومر شهران يئس فيهما أن يراها أو يرى ولده . وحقق  
على نفسه أن حرما رثية ولده ولو عن بُعد . فجعل يكتب  
لها ... كتب لها نحو عشرين رسالة لم يتلقَ رد واحدة منها !  
فأحس مزارة الطبيعة تور في ألم الحرمان فترهقانه وتمذبانه  
عذاباً أليماً

ولما يئس أن يراها فكفر وقدر ، ثم فكر وقدر ، فلمت  
له في ظلمة يأسه خاطرة هي أن يكتبَ لزوجها ... ولما جاء الرد أنه  
يسره أن يلقاه في مساء يوم معين لم يكن بأسمد حالاً مما لو كان  
أهمله كما أهملته هي من قبل . فقد كان دق قلبه — وهو يضمند  
الدرج — سريماً مزعجاً . وكان ينتزع رجله انتزاعاً ويراود  
نفسه — وهو صاعد — أن يرجع !

وكانت ثيابُ الرجل السود ورهبتة فيها وسحتته المترنة  
الوقور التي طالمة بها ... كان كل ذلك قد خلع قلبه وطير  
ما بقي له من قوة وآثران . وحين أشار له الرجل أن يجلس ، جلس  
متداعياً مذهوب العقل ، ضائماً ...

قال الرجل في لهجة عميقة ورنه آسفة :

— إن زوجتي حدثتني عنك ...

فرد يقول في صوت خفيض متقطع :

— إنني ياسيدي غير سعيد لأنني لا أستطيع أن أرى ولدي

وهب الرجل فنأدى ... فدخل غلام في نحو الماشرة مسرعاً

إلى الرجل الذي يمشي معه على ظن أنه أبوه ... ولكنه وقف

فجأة حين اتبته إلى أن بالحجرة رجلاً غريباً ...

وقبله أبوه قبله كلها خنان وعطف . وقال له مشيراً :

— إذهب وقبل هذا السيد الجالس هناك . وسار الطفل

نحو « السيد الجالس هناك » وديباً خجلاً ، ضيق الخطى . وأحس

هو — وطفله مقبل عليه — أن دُواراً شب في رأسه حين نظر

يصدر بهر أيام

الشيخ علي الطنطاوي

## في بلاد العرب

صور طبيعية — ومواقف وطنية — ومشاهد اجتماعية —

دمشقية — ولبنانية — وفلسطينية — وعراقية — وحجازية

بأسلوب بلذ الأديب ، وبنقح الطالب ، ورضى المؤرخ

في أكثر من ٣٠٠ صفحة — نشره المكتبة الهاشمية بدمشق

—

يصدر بعده ثلاثة كتب للمؤلف :

(سرور ضوابط) ، (من التاريخ اللاهوتي) ، (في سبيل الاصطوخ)